مركز روافد
للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط
Rawafed center for Studies and Researches
in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage
rawafedcenter.org

أبو محمد عبد العزيز بن محمد البوفرحي الصنهاجي (ت 899 هـ)

عصره - حياته - قراءة في كتابه:

" المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد ".

قسم الدراسات

لحسن المؤدن

باحث في التفسير وعلوم القرآن

18 مارس 2025

جميع الحقوق محفوظة © 2025

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن التعريف بعلماء الأمة وبتراثهم واجب على خلف هذه الأمة ودين في أعناقهم، وهو من بر الأحفاد بالأجداد، وقد عرف المغرب الأقصى خلال عصوره المختلفة حركة علمية بدأت منذ دخول الإسلام إلى هذا الزمان، وامتدت هذه النهضة على سائر ربوع المغرب، إلا أن الحواضر والمدن الكبرى مثل مراكش وفاس وسلا وتطوان قد أخذت نصيبا من التعريف والدراسة، بعكس البوادي والأرياف، فإن العناية بها قليلة، والدراسات حولها نزر يسير.

ومنطقة الريف من أقطار المغرب التي لا زالت بحاجة إلى دراسة الدارسين وبحث الأكاديميين من مختلف التخصصات، لما تحتويه من كنوز المخطوطات، ونوادر الآثار، وملح الأخبار، وذلك ما دعا عبد الحق البادسي في سنة إحدى عشرة وسبعمائة إلى تأليف كتابه:" المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"، فهو يقول استدراكا على التادلي في التشوف: وغفل فيما آثره من الحسن والإحسان، عن الريف الكائن ما بين

مدينتي سبتة وتلمسان، ... وقد استقر بالريف المذكور في سائر الأزمنة كل مشهور مذكور، لم يقصر في جده عن الأكابر، المشتهرة ولا يتهم في الزمن الغابر"[1].اهـ.

وذلك أيضا ما دعاني لتخصيص مقالي هذا بالتعريف بعلَم من أعلام الريف الأوسط، بمنطقة صنهاجة الساحل التي ازدهرت الحركة العلمية في حواضرها، مثل بقوية وبطوية وبادس ومسطاسة وبني اكميل وبني يطفت وغيرها من المراكز العلمية التي ضاهت في بعض الأعصار حواضر المغرب الكبرى، ذلكم العلَم هو العالم الفقيه الشيخ البركة عبد العزيز بن محمد البوفرحي الصنهاجي (ت 899 هـ)، فقد تناولت بالدراسة عصر المؤلف: فتحدثت عن السياق التاريخي العام في المغرب خلال العصر الوسيط، ثم تكلمت عن الفترة الممتدة من سنة 805 هـ إلى سنة 899 هـ، فذكرت الأحوال السياسية والعلمية الواقعة فيها، ثم انتقلت إلى التعريف بالبوفرحي: فتكلمت عن اسمه ونسبه، والتعريف بقبيلته بني بوفراح، وبيته، وولادته، ونشأته شيوخه وتلاميذه، ووظائفه، وثناء العلماء عليه، ومؤلفاته، ووفاته ومدفنه، وختمت المقال بقراءة في كتاب من التراث الريفي المخطوط، هو كتاب: "الأمر المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد" لعبد العزيز البوفرحي، فعرفت بالنسخة الخطية، وذكرت سبب تأليفه لهذه الرسالة، وتحدثت عن مصادره في كتابه، ثم ختمت بموضوع الكتاب.

[1] - المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، لعبد الحق بن إسماعيل البادسي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية – الرباط، 1402 هـ/1982م، ص 15 بتصرف.

أولا: السياق التاريخي العام:

لقد تميز تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط بمميزات مشتركة بين الدول المتعاقبة على حكم المغرب، وهي أن الحكم تطور من المستوى الإقليمي إلى نمط الدولة المركزية، كما تميزت الفترة بتعاقب العصبيات الكبرى على حكم المغرب: فالعصبية الصنهاجية مع المرابطين، والعصبية المصمودية مع الموحدين، والعصبية الزناتية مع المرينيين، وكذلك فقد اعتمدت هذه الدول مرجعية دينية تحكم باسمها وتشاركها في الحكم والسياسة والمشورة، فبالنسبة للمرابطين كانت هذه هي المرجعية هي فئة الفقهاء، وفئة الطلبة والحفاظ في بالنسبة للموحدين، وفئة الصوفية والأشراف في دولة المرينيين.

وفيما يخص المجال الاقتصادي والعمراني فقد عملت هذه الدول الثلاث على توحيد العملة وتقويتها بتشجيع التجارة الخارجية، وإقامة المنشآت العمرانية، وتشييد الحواضر الكبرى، وتأسيس المدارس العلمية والمساجد والزوايا.

وفي سياستها الخارجية نجد قاسما مشتركا بينها يتمثل في الاهتمام بقضايا المنطقة عموما وقضايا الأندلس المسلمة بوجه خاص، من أجل تدعيم المشروعية الدينية عن طريق نصرة أهل الأندلس ومحاولة توحيد مجمل بلاد المغرب الكبير بصفة منتظمة[2].

[2] - كرونولوجيا تاريخ المغرب: من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط 1، 2012م، ص 29.

لكن مع وجود هذه الخصائص المشتركة بين الدول المتعاقبة على حكم المغرب في فترة العصر الوسيط، إلا أنه هناك سمات صبغت كل دولة، وميزتها عن الأخرى، منها: أن حكم المرابطين شهد تأسيس نمط مركزي قائم على إشراك فقهاء المالكية إشراكا فعليا في تسيير دفة الحكم أيام المرابطين، على عكس الموحدين الذين اعتمدوا منهجا فكريا متشددا ، وقع التخلي عنه في مرحلة لاحقة من حكمهم لما يحمله من تضييق وإقصاء وبعد عن الواقع، أما مرحلة حكم بني مرين فقد عرفت التشبث منذ البداية باعتناق المذهب المالكي دون أن تقف عند الاعتناء بفقهاء المذهب كما فعل المرابطون، بل عملت على تكريم الشرف والشرفاء ورجال التصوف في نفس الآن[3].

وعلى المستوى الخارجي فقد شهدت طابعا تحوليا في العلاقة بشمال المتوسط، هذه العلاقة التي كانت متذبذبة بشكل مستمر، لكن الغالب عليها في مرحلة المرابطين والموحدين حسمها لصالح الجهة الجنوبية، لكن في آخر عهد المرينيين اختل ميزان القوى بشكل نهائي لصالح الجهة الشمالية للمتوسط، ففي الوقت الذي أشرفت فيه الدولة المرينية على الهرم استفحل أمر الإسبان والبرتغاليين على الخصوص، وهاجموا السواحل المتوسطية والأطلنتية على السواء، واستولوا على جميع مدنها حتى إنه لم يبق في يد المغاربة من المدن الساحلية إلا سلا ورباط الفتح[4].

[3] - تاريخ المغرب، ص 30.

[4] - كرونولوجيا تاريخ المغرب: من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين، إشراف وتقديم محمد القبلي، ص 63.

وبالنسبة للشأن الديني: فقد عرفت فترة المرينيين مرحلة جديدة في التصوف المغربي رسمت فيها المرجعية الشاذلية على غرار ما سبق بالنسبة لترسيم مذهب مالك بن أنس وعقد أبي الحسن الأشعري في العقائد، فشهد العصر المريني تنامي مكانة الزاوية داخل المجتمع ومشاركتها في الاضطلاع بالأدوار التي كانت من اختصاص القبيلة فيما سبق، كما تميز بقيادة المتصوفة للجهاد ضد الغزاة وتجنيدهم لخاصة الناس وعامتهم معززين بذلك المجهود الذي كانت تقوم به الدولة في هذا الباب[5].

وحسب بعض الباحثين فإن الحركة الصوفية في المغرب اشتد ساعدها منذ القرن السادس الهجري، لكنها لم تكن تمثل قوة مستقلة بذاتها، وإنما ازداد نفوذها اتساعا بضعف السلطة المرينية بعد سقوط سبتة، وما أن بدأ الصراع مع البرتغال حتى تواجهت زاويتان كبيرتان: إحداهما مغربية، والأخرى من أصول مشرقية، قام على أمر الأولى منهما قطب الغرب الولي عبد السلام بن مشيش، وكان الأدارسة من ورائها، وهي زاوية الشرفاء أو الزاوية الشاذلية، سمية أول مريد لعبد السلام بن مشيش، أما الثانية فيرجع نهجها إلى الجيلاني قطب الشرق، وتدعى الزاوية القادرية، وهي تابعة لبغداد، وعلى استعداد دائم لطلب العون من دار السلام[6].

[5] - كرونولوجيا تاريخ المغرب: من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين، إشراف وتقديم محمد القبلي، ص 63.

[6] - ينظر كتاب تاريخ المغرب، لجون بريليون وآخرين، تعريب: د. محمد الغرايب – عبد العزيز بل الفايدة – محمد العرجوني، مطابع الرباط نت، 2018م، ص 229-231 بتصرف.

وحسب هؤلاء الدارسين فإن إمكانية أن يكون عبد الحق المريني وراء مصرع الإمام الجزولي سنة 869 هـ هو من العوامل التي عجلت بذهاب ريح المرينيين، فأعقب ذلك حمل ثورة فاس أحد أبناء المولى إدريس إلى سدة الحكم، وهو من الشرفاء الجوطيين، فتولى الإمامة لست سنين، وكانت الزاوية الشاذلية هي من أوصلت الأدارسة إلى السلطة ليتابعوا الجهاد، إلا أنهم كانوا أعجز من أن يواجهوا الوضع فدخلوا في صراع مفتوح مع الزاوية القادرية الداعمة لمحمد الشيخ الوطاسي، فخسر البرابرة والزاوية الشاذلية الجولة، وعمد الوطاسيون بعدها إلى فتح باب الإدارة واسعا أمام أهل العلم من العرب، وجعلوا الزاوية القادرية سندا لهم[7].

ثانيا: السياق التاريخي الخاص:

عاش المترجم له في الفترة الزمنية الممتدة من سنة خمس وثمانمائة للهجرة إلى سنة تسع وتسعين وثمانمائة، وهي بالإجمال مدة عاصر فيها البوفرحي حكم المرينيين الزناتيين إلى سقوط دولتهم، ثم عاش فترة من حكم أبناء عمهم الوطاسيين، وقد كانت هذه المدة فترة عصيبة من تاريخ المغرب، فقد عاصر حكم أبي عنان آخر السلاطين المرينيين الأقوياء، وانتقال السلطة الفعلية بعد وفاته إلى يد الوزراء، ثم عاصر حكم أبي سعيد عثمان الثاني (801-831 هـ)، وسقوط سبتة في يد البرتغاليين سنة 818 هـ وثورة المغاربة عليه بسبب

[7] - ينظر كتاب تاريخ المغرب، لجون برينيون وآخرين، تعريب: د. محمد الغرايب – عبد العزيز بل الفايدة – محمد العرجوني، ص 229-231 بتصرف.

ذلك، إلى أن حكم عبد الحق المريني ، وفي عهده قتل حاجبه صالح بن صالح بن حمو البابانى الفقيه القاضي أبا محمد عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني سنة 834 هـ، كما عرف حكمه هيمنة الوزراء من بني وطاس عليه، ولما تفطن السلطان إلى استبداد حجابه من بني عمه الوطاسيين دونه أوقع بهم، وذلك بعد توليته أبا زكريا بن يحي بن زيان الوطاسي للوزارة، هذا الأخير الذي بدأت الفتن منذ استقلاله بالحجابة، وشروعه في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، ومن ذلك عزله قاضي فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وتقديمه مكانه الفقيه يعقوب التسولي، فلما تبين للسلطان أن الوطاسيين شاركوه الملك، قبض على الوزير يحي وأخويه أبي بكر وأبي شامة وعمهم فارس بن زياد الوطاسي، وذبحهم جميعا، ولم ينج من هذه المذبحة إلا أخوي الوزير: محمدَ الشيخ الوطاسي صاحب أصيلة وأخوه محمد الحلو، وقد أعقب ذلك نقمة العامة وكثير من الخاصة على السلطان فعله هذا مما أجج حقد السلطان على شعبه، فولى اليهوديين هارون وشاويل منصب الوزارة، وولى الحسين اليهودي الشرطة تأديبا لرعيته، وذلك ما أدى إلى ثورة على السلطان انتهت بمقتله سنة 869 هـ، وبذلك انقرضت دولة بني مرين من المغرب، وولى أهل فاس نقيب الأشراف الشريف أبا عبد الله محمد بن علي بن عمران الجوطي الإدريسي الحفيد إماما عليهم بعد بيعته فاستمر بها وابنه وزيرا له إلى سنة 875 فعزل عن الإمامة، حيث لم يرض الناجون من الوطاسيين حكمه، فزحف محمد الشيخ الوطاسي من مقره بأصيلا إلى فاس للاستيلاء عليها، فانتصر على الشريف الجوطي بأحواز مكناسة، ودخل فاس عام 876 هـ،

وبذلك بدأ الحكم الفعلي لدولة الوطاسيين[8]، وفي سنة 891 استدعى السلطان محمد الشيخ الإمام أبا عبد الله بن غازي من مكناسة إلى فاس فولي الخطابة أولا بالمسجد الجامع من فاس الجديد، ثم ولي الإمامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين من فاس سنة 914 هـ بعد وفاة خطيب القرويين يوسف الفندلاوي المكناسي، الذي تولى الخطابة بمسجد القرويين بعد وفاة البوفرحي، فصار شيخ الجماعة بها واستوطنها إلى أن مات رحمه الله سنة 919 هـ[9].

وقد تزامن حكم الوطاسيين مع ضراوة حركة الاسترداد المسيحي لبلاد الأندلس إلى أن سقطت غرناطة سنة 897 هـ، أي قبل وفاة البوفرحي بنحو سنتين، ولم يملك الوطاسيون شيئا للأندلس إلا فتح بلادهم لاستقبال المسلمين واليهود الفارين منها، بل وشهد المغرب خلال هذه الفترة استيلاء البرتغاليين على عدد من المدن المغربية مثل القصر الكبير (قصر المجاز) سنة 862 هـ، وعلى طنجة سنة 869 هـ، وأنفا وبعض سواحل سوس عام 874 هـ، وأصيلا عام 876 هـ، ثم في حدود سنة 907 نزلوا بأرض الجديدة فيما بين آزمور وتيط، وبنوا بها حصن البريجة وطال مقامهم بها، ثم في سنة 910 استولوا على مدينة العرائش، ثم بعد ذلك بيسير في حدود 910 ملكوا حصن آكادير وما اتصل به من

[8] - انظر بعض هذه الأحداث في: درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث – القاهرة، ط 1، 1391 هـ/1971م، ج 3 ص 156-160، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315 هـ)، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، 1954م، ج 4 ص 97-101.

[9] - لمعرفة الخطباء الذين تعاقبوا على جامع القرويين بفاس من دولة المرابطين إلى سنة 1003 هـ: انظر جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1973م، ج 1 ص 56-66.

سواحل السوس الأقصى، ثم ملكوا في حدود 912 رباط آسفي، ثم عطفوا على ثغر آزمور فاستولوا عليه في سنة 914، ثم المعمورة وهي المهدية ملكوها أيضا في حدود سنة 920 وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا إلى مدينة آنفا بعد هدمها فبنوها وسكنوها.

إلا أنه لما تمكن الوطاسيون من الحكم بدأوا بتحرير ثغور المغرب، واستمر ذلك لما خلفهم السعديون في الحكم منذ سنة 915 هـ.

ومن الناحية العلمية: عرفت هذه الفترة كما سبق عودة تدريس المذهب المالكي بعد التضييق الذي تعرض له في زمن الموحدين، والاستفادة من علوم الأندلسيين خصوصا بعد الهجرات المتتالية لهم إلى المغرب إثر حروب الاسترداد المسيحية، وقد استفاد هذا العصر المتضعضع سياسيا من الرواج العلمي الذي سبقه بسبب تشجيع المرينيين للعلم والعلماء، وبناء المدارس، ووقف الكتب عليها ... كتأسيسهم لمدرسة الحلفاويين بفاس سنة 670 هـ، والتي سميت فيما بعد بمدرسة الصفارين من طرف السلطان يعقوب بن عبد الحق، ومدرسة فاس الجديد أو دار المخزن الملحقة بقصر فاس الجديد سنة 721 هـ من قبل السلطان أبي سعيد عثمان المريني، ومدرسة الصهريج سنة 721 هـ، والمدرسة الصغرى المسماة بمدرسة السبعيين لاختصاصها في تدريس القراءات السبع قرب جامع الأندلس، ومدرسة العطارين إزاء جامع القرويين كلاهما سنة 725 هـ، ومدرسة الطالعة بسلا سنة 742 هـ، والمدرسة المصباحية سنة 747 هـ، والمدرسة العنانية سنة 755 هـ[10].

[10] - انظر جامع القرويين: المسجد والجامعة لمدينة فاس، للدكتور عبد الهادي التازي، دار نشر المعرفة بالرباط، ط 2، 2000م، ج 2 ص 356.

وقد عرف هذا العصر مع ما فيه من قلاقل سياسية ازدهارا علميا ناتجا عن الإصلاحات التي قام بها السلاطين المرينيون في زمن قوتهم، فممن عاصر البوفرحي من العلماء: أبو عثمان سعيد بن محمد الخزرجي التلمساني المعروف بالعقباني (ت 811 هـ)، والقاضي العارف البليغ أبو يحيى محمد بن أبي البركات العياضي السكاك (ت 818 هـ)، و الشيخ أبو محمد عبد الله العبدوسي مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير (ت 849 هـ)، وإمام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأندلسي المعروف بالقوري (ت 872 هـ)، ودفن بباب الحمراء منها، وأبو العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي (ولد عام 846 ومات عام 899)، ومحمد بن غازي المكناسي (ولد في 841 هـ ومات سنة 919 هـ)، وأبو عبد الله محمد الخراز الأموي (ت 818 هـ) إمام القراء بفاس، وعلي بن ميمون الغماري (ولد في 854 هـ ومات في 917 هـ)، والتازغدري (ت 832 هـ)، وإبراهيم الفجيجي (ت حوالي 900)، وأبو موسى الجناتي (ت 830)، والزقاق الفاسي صاحب تحفة الحكام (ت 912)، وإبراهيم بن هلال السجلماسي (ت 903)، وابن السكاك شارح الشفا (818)، والشوشاوي (900)، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي (820) صاحب الكواكب الوقادة في ذكر من دفن في سبتة من العلماء والصلحاء والقادة وكتاب بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، وأبو القاسم الأنصاري (حيا سنة 825) صاحب اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، وممن عاصر البوفرحي أيضا: الدقون (921)، وابن جابر المكناسي الغساني

(827 هـ)، وأحمد بن زكري (899)، ومحمد بن يوسف السنوسي (895)، وأحمد الونشريسي (914)، وأبو العباس الحباك (870)، والإمام محمد بن عبد الرحمن الجزولي (ت 870 هـ)، وعبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي الميموني (ت 880 هـ) من أهل فاس نظم ألفية في النحو تضاهي ألفية ابن مالك[11].

ثالثا: الحياة الشخصية أو السيرة الزاتية:

ترجمته:

1. اسمه ونسبه:

هو أبو محمد عبد العزيز بن محمد البوفرحي[12] – بالحاء المهملة ـ الصنهاجي، ويكنى أيضا: أبا فارس[13]، فهو صنهاجي الأصل، ينتسب إلى صنهاجة الساحل.

[11] - انظر النبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنون، دار الثقافة، ط 2، 1380 هـ/1960م، ص 215-221.

[12] - انظر درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، ج 3 ص 128، و جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1973م، ج 2 ص 452، والروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (ت 1109 هـ)، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، 1997م، ص 275، وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت 1345 هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتانيين، دار الثقافة – الدار البيضاء، 2004م، ج 3 ص 160.

[13] - انظر فهرس أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور (ت 995 هـ)، تحقيق: ذ. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط، 1396 هـ/1976م، ص 59، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ)، تحقيق: د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط 1، 1422 هـ/2002م، ج 1 ص 200.

التعريف بقبيلته بني بوفراح:

ينتسب عبد العزيز بن محمد البوفرحي إلى قبيلة بني بوفراح، وهي قبيلة في الريف الأوسط، يعتقد أن من أوائل من استوطن قبيلة بني بوفراح هم سكان جاءوا من سوس، قدموا فرارا من الأوبئة والطاعون أو عوامل أخرى دفعتهم إلى الهجرة شمالا، والاستقرار في هذا الوادي، خصوصا من قبيلة إداو اسملال التي تتكلم تشلحيت، واشتغلوا بالزراعة والحرث، ومنهم من رجع إلى سوس، ومنهم من بقي مستقرا في هذه المنطقة، ثم جاءت قبائل أخرى من الفارين من الأندلس، ومن الشرفاء المضطهدين، ومن القبائل الشرقية التي دخلت من تلمسان وغيرها، ومن مجموع هؤلاء تكونت هذه القبيلة، وكذلك كانت الهجرات الأندلسية من المسلمين واليهود قبل سقوط غرناطة من مالقة أشبونة وغيرها في عهد الموحدين إثر الحروب المسيحية، واستقرت أكثر الأسر الأندلسية في إبيحياتن، التي سميت بهذا الاسم لأن جدهم هو من يحيى الأندلسي الذي وفد من مالقة ... ويعتبر القاسميون المنتمون إلى قبيلة سيدي قاسم بالغرب، والوزانيون هم مؤسسو قرى أوزيغن.

كما أنه من أكبر مكونات قبيلة بني بوفراح المهاجرون من قرى الريف الأخرى، خصوصا قبيلة بني وريا كل وبقوية وكزناية وقلعية وبني يطفت، وكان السبب وراء هذه الهجرات الكبيرة هو الخصومات الداخلية بين القبائل والترحيل الجماعي الإجباري بسبب غضب السلطان عليهم، فمثلا استقرت قبيلة بقوية في معارط سنة 1895م هربا من عسكر الباشا البغدادي بأمر من السلطان مولاي عبد العزيز.

كما يعتبر المكون الصنهاجي من أكبر مكونات قبيلة بني بوفراح، حيث وفد إلى هذه المنطقة خلال الهجرات الجماعية لهذا المكون من المناطق العليا إلى المناطق السفلى السهلية، خصوصا بعد وباء القرن 17 م/10 هـ، إثر وفاة المنصور السعدي، ومما ينبغي التنبيه إليه أنه كانت هناك حركية دائمة للأشخاص والتجارة بين فاس وساحل الريف في الطريق التجاري المار من بادس إلى فاس، مرورا باسنادة وتارجيست وكتامة وتاونات وتيسة.

وبينما يعلن سكان بني بوكمات أنهم جاءوا من صنهاجة[14] سنة 1600م دون ذكر أصولهم، فإن كل الهجرات الصنهاجية المهمة جاءت منذ سنة 1700م عن طريق فاس من هضبة تارجيست[15].

ويفيدنا أوجست موليراس أن قبيلة بني بوفراح تتضمن ثلاثة أقسام وهي: قوبيعة بالشمال الغربي، وأوقني بالشمال الشرقي، والربع الفوقاني بالجنوب ... وبالقرى هناك تهافت على حفظ القرآن، وقد أصبحت اللغة العربية التي كانت مقتصرة على بعض المتحذلقين منتشرة بشكل كبير، وهي تسير نحو الحلول محل الأمازيغية،... وهم (يعني البوفراحيين) أناس شجعان وكرماء وميالون إلى التحصيل الدراسي بشكل كبير، وتمتد

[14] - لعل المقصود هنا بصنهاجة: جبال صنهاجة بحوز بادس، ومن قبائلها مسطاسة وهي تجاور بني اكميل لجهة الغرب على ساحل البحر.

[15] - ما ذكرناه في التعريف ببني بوفراح مترجم بالمعنى مع تصرف فيه بمساعدة الدكتور محمد الغرايب من كتاب بني بوفراح (دراسات في الايكولوجيا الاجتماعية لسهل ريفي)، تأليف: بول باسكون، بالاشتراك مع هرمان فان ديرفوستن، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، طباعة المعارف الجديدة – الرباط، 2017م، من ص 55 إلى ص 66.

قبيلتهم على مدى عشرين كيلومترا تقريبا (نصف يوم مشيا) من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، والقرى الرئيسية ببني بوفراح: قوبيعة: 200 منزل، أوقني: 200 منزل، سيدي علي أوشعيب: 300 منزل، وهناك أيضا حوالي أربعين قرية متفرقة هنا وهناك بدائرتي أوقني والربع الفوقاني وأربع إلى خمس قرى فقط بقوبيعة ...[16] اهـ.

ويزيدنا محمد داود تفصيلا حول مداشر قبيلة بني بوفراح وفرقها وأقسامها في كتابه تاريخ تطوان[17]: قبيلة بني بوفراح: وتشتمل على ما يلي:

فرقة اسواحل: وبها: إمداوشن – جنانات – قوبع – طوريس القلعة – الجب

فرقة أولاد سعيد: وبها: معارط – بكارة – تلزة – ترونتعش – أونوت.

فرقة إيحياتن: وبها إيحياتن – إهرونن – إمريغن – إزلوكن – إمهوطن.

فرقة أكني: وبها أكني – إكزناين – بني بوكمات – دار الزيخلف – إذغيرن.

ويبدو جليا أن عبد العزيز البوفرحي يرجع في أصوله إلى بني بوفراح، فإما أنه ولد في هذه القبيلة ونشأ فيها، ثم رحل إلى فاس طلبا للعلم، وتحصيلا له، وإما أن آباءه من قبيلة بني بوفراح لكنه ولد ونشأ في فاس، وبقي فيها إلى مات بها.

[16] - انظر المغرب المجهول: اكتشاف الريف، لأوجست موليراس (ت 1931 م)، ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تفراز، دار النجاح الجديدة، 2007 م، ج 1 ص 92.

[17] - تاريخ تطوان، لمحمد داود، مراجعة وإضافات: حسناء محمد داود، منشورات جمعية تطوان أسمير، مطبعة الخليج العربي – تطوان، 1430 هـ/2009م، ج 11 ص 42.

رجوع إلى الترجمة:

ذكر ابن القاضي في درة الحجال في ترجمة عبد العزيز البوفرحي أنه: من لمطة[18]، فلا ندري هل هو ينتسب إلى قبيلة لمطة، أم يسكن في مكان بفاس ينسب إلى لمطة؟ وقد كانت بفاس بيوت كثيرة للمطيين، منها: بيت أولاد الزويز اللمطيين، ولهم زقاق بفاس يسمى بدرب الزويز، كما أنه بفاس درب لا زال معروفا إلى الآن يسمى درب اللمطي، وقد يكون البوفرحي صنهاجيا لمطيا، منسوبا إلى لمطة، وذلك ليس ببعيد، فإن لمطة من تجمعات البرانس، التي تجتمع مع هسكورة وصنهاجة في أم واحدة، تسمى تصطى العرجاء، وقد نزحت لمطة من الجنوب إلى ريف المغرب العربي وركزت أعمدتها بمنطقة سوس الأقصى إلى جوار أختها جزولة، وفي القرن الخامس الهجري انساقت جماعة منهم مع الحملة المرابطية نحو الشمال حسبما جاء في الحلل الموشية، فنزلوا في مقاطعة شمال فاس ما تزال تحمل اسمهم إلى اليوم، ويحدثنا الإدريسي عن برية توجد فيما بين فاس وحصن بني تاودا – يشقها نهر سبو – تسكنها قبائل من البربر يسمون لمطة ...[19].

[18] - درة الحجال، لأحمد ابن القاضي ج 3 ص 128.

[19] - انظر أصول المغاربة، لمولاي التقي العلوي، مراجعة وإخراج: علال ركوك وحفيظة الهاني، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2019م، ص 152-155 بتصرف.

2. بيته:

في زهرة الآس: بيت البوفرحي أو أولاد البوفرحي (بالحاء المهملة) من قدماء فاس ... ويوجد في بعض الرسوم القديمة: أولاد ابن فرحة، وأولاد بوفراح ... وحسب العلامة النسابة عبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ): فقد انقرض هذا البيت من فاس اليوم[20]. اهـ.

ومن أعلام هذا البيت: الولي الصالح أبو عبد الله سيدي محمد بن يحي بن سعيد البوفرحي، كان عالما جليلا، وشيخا صالحا، توفي بفاس تاسع رمضان المعظم سنة ست وثمانين وثمانمائة، والمدفون داخل باب الفتوح[21]. وفي وفيات الونشريسي: أنه مات في وفي آخر يوم من رمضان من سنة ست وثمانين وثمانمائة.

ومنهم والد المترجم له محمد البوفرحي: يظهر من خلال كلام للمؤلف في الأمر المهم الأكيد أن والده كان ممن يشتغل بالعلم على الشيخ عمر أرجراج، يقرأ عليه مسند الشهاب للقاضي القضاعي (ت 454 هـ)، يقول المؤلف: "وقد ذكر لي والدي

[20] - انظر زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ)، تحقيق: د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط 1، 1422 هـ/2002م، ج 1 ص 200.

[21] - تنظر ترجمته في زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني، ج 1 ص 200، وفي سلوة الأنفاس 108-109/3. وهو نقلا عن جذوة الاقتباس ص 242 الترجمة 227، وفي الجذوة أيضا ص 502-503: في ترجمة عيسى بن أحمد الماواسي البطوي الفقيه المفتي بفاس أنه اتهم رجل يعرف ببربير بضرب الدراهم المدلسة فأفتى فيه أبو مهدي بمثل فتوى ابن عرفة بأن يخلد في السجن حتى يموت، فشفع فيه بعد مدة محمد بن يحي البوفرحي فلم يعط المفتي فيه يدا وبقي في السجن ...

رحمه الله أنه قال: كنت أقرأ الشهاب للقاضي على سيدي عمر أرجراج (ت 810 هـ) فكنت أراه ملازما لسِفْرٍ من الحلية المذكورة ...".

ومنهم المترجم له: عبد العزيز البوفرحي.

ومنهم: إدريس بن يخلف البوفرحي الصنهاجي الريفي[22]: الفقيه الفرضي الحيسوبي المؤقت، أخذ عن أحمد الونشريسي، والإمام القوري وغيرهما، وله نظم ونثر، أخذ عنه ابن غازي، وله اصطلاحات في ألفية ابن مالك وغير ذلك، ومن نظمه:

لا تأسفن على ما لم يكن * فربما كان في التأخير خيرات
إن المقر به تأخر عن * قسم العقار بدت تلك الزيادات

توفي بعد التسعمائة.

ومن أعلام البوفراحيين المعاصرين: أحمد بن محمد الناصري البوفراحي (ت 1436 هـ) صاحب كتاب أحاديث حول رفع اليدين في الصلاة وغيرها من السنة، وكتاب غاية الفوز والوصول في استخراج الأحكام من علم الأصول، وكتاب إثلاجة الصدر ساعة بملازمة الذكر وقراءة القرآن جماعة، وإرشاد الباحث المستفيد بالعقل لما في صفوة التفاسير من الغلط في النقل، وجد السفر بالسير الحثيث بشرح مختصر سيدي خليل بعلم الحديث.

[22] - جذوة الاقتباس لابن القاضي ج 1 ص 164، الترجمة 115.

3. ولادته:

ولد عام خمسة وثمانمائة[23]، وانفرد المختار السوسي في خلال جزولة فقال: ولد عام أربع وثمانمائة[24]، والأول هو الصحيح لأنه تواردت عليه كتب التراجم القريبة من زمن المؤلف.

ولا تسعفنا كتب التراجم بشيء عن مكان ولادته، فقد يكون مولودا بفاس وبقي فيها إلى أن مات، أو ولد بقبيلته بني بوفراح، ثم وفد إلى فاس طلبا للعلم واستزادة من الشيوخ كما كانت عادة العلماء في زمانه، إذ كانت فاس حاضرة المغرب في زمن المرينيين، ثم استقر بها إلى أن مات فيها، لا تصرح كتب التراجم عن شيء من ذلك، لكننا نجزم أنه أمضى العقدين الأخيرين من حياته بها.

4. نشأته وشيوخه وتلاميذه:

كما كانت المصادر شحيحة بمعلومات عن ولادة المؤلف، كذلك شحت بأي شيء عن نشأته وطلبه للعلم وشيوخه وتلاميذه، إلا ما ورد في كتاب "الأمر المهم الأكيد" عن المؤلف، حيث ذكر أن والده محمد البوفرحي كان ملازما لسيدي عمر أرجراج، يقرأ عليه مسند الشهاب للقاضي القضاعي، قال المؤلف: وقد ذكر لي والدي رحمه الله أنه قال: كنت أقرأ الشهاب للقاضي على سيدي عمر أرجراج فكنت أراه ملازما لسِفْرٍ من الحلية المذكورة. اهـ. ونفس الكلام ذكره في رسالته تلويحات

---

[23] - الروض العطر الأنفاس، لابن عيشون، ص 276، وسلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، ج 3 ص 161، وزهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني، ج 1 ص 200.

[24] - خلال جزولة، لمحمد المختار السوسي (ت 1383 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، 2015م، ج 2 ص 90.

من طريق القوم، حيث قال: "وذكر لي من أثق بكلامه وهو والدي رحمه الله أن سيدي عمر أرجراج نفع الله به كان لا يفارق كمه سفر من الحلية".

فلا يبعد أن يكون المؤلف أخذ عن أبيه محمد البوفرحي الذي كان مشتغلا بالعلم على سيدي أبي حفص عمر الرجراجي الخطيب بجامع الأندلس (ت 810هـ)[25].

وقد يكون من شيوخ المؤلف كذلك سيدي أبو الحسن علي الوزروالي (ت 868 هـ)[26]، فهو ينقل المؤلف في هذه الرسالة موضوع المقال كلاما حول أهمية كتب السير والصوفية يخاطب به البوفرحي، فيقول: "ولذلك قال سيدي علي الوزروالي يوما: يا سيدي عبد العزيز، إن أولئك القوم ربحوا ومن خالطهم ربح فلا تفارقهم؛ يعني بالذين ربحوا أهل الحلية وما كان في معناها مثل الإحياء للغزالي وكتب ابن عطاء الله مثل التنوير ...".

وذكر المنجور في فهرسته[27] في ترجمة شيخه المحدث أبي زيد عبد الرحمن بن علي العاصمي الفاسي المشهور بسُقَّيْن (المولود حوالي سنة 870 هـ المتوفى سنة 956 هـ) من أنه أدرك عبد العزيز البوفرحي، ولا يتبين المقصود بهذا الإدراك: هل هو إدراك معاصرة أم إدراك مشيخة وأخذ، ويرجّح الثانيَ أنه في معرض ذكر شيوخ

[25] - انظر ترجمته في درة الحجال ج 3 ص 202 الترجمة 1197.

[26] - انظر درة الحجال، لأحمد ابن القاضي، ج 3 ص 250.

[27] - فهرس أحمد المنجور ص 59.

سقين، حيث قال: وأدرك الشيخ الفقيه الأستاذ المحدث الخطيب الصالح الورع أبا الفرج محمد بن محمد بن موسى الطنجي وجود عليهما القرآن، والفقيه الأستاذ الخطيب المفتي أبا مهدي عيسى بن أحمد الماواسي، والشيخ الفقيه الصالح أبا فارس عبد العزيز البوفرجي. اهـ. وهذا النص نقله عن المنجور أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج فقال: قال المنجور في فهرسته: شيخنا الفقيه الأستاذ المحدث المسند المحقق الرحلة الحاج، أخذ عن شيخ الجماعة ابن غازي والشيخ زروق، وأدرك أبا الفرج الطنجي وجود عليه وأبا مهدي الماواسي والفقيه أبا فارس البوفرجي[28]. اهـ.

ويرجح أيضا تتلمذه على عبد العزيز البوفرجي أن المذكورين معه في هذا السياق كأبي مهدي عيسى بن أحمد الماواسي (ت 896 هـ) وأبي الفرج محمد بن محمد بن موسى الطنجي (ت 893 هـ) هما بلا شك من شيوخ سقين.

5. وظائفه:

تولى الخطابة والإمامة في جامع القرويين من فاس في شوال عام ثمانين وثمانمائة، وأول صلاة صلاها فيه صلاة المغرب، وبقي فيه خطيبا إلى أن مات وحمدت سيرته[29]، كل ذلك في دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي (تولى سنة 876 هـ ومات سنة 910 هـ)، وقد تولى البوفرجي الخطابة في

[28] - انظر نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس، 1989م، ج 1 ص 264 الترجمة 313، وقد وقع تصحيف في هذه الطبعة في نسبتين: الأولى: أبا الفرج الطنجي، حيث صحفها إلى: (الطلبجي)، وفي البوفرجي، التي تصحفت إلى: (اليوقرجي).

[29] - الروض العطر الأنفاس، لابن عيشون، ص 275، وسلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني ج 3 ص 160.

القرويين بعد عبد العزيز الورياغلي، ثم لما مات تولى الخطابة بعده أبو الحجاج يوسف الفندلاوي[30]، فقد جمع عبد العزيز البوفرحي بين الإمامة والخطابة في مسجد القرويين.

ويبدو أيضا أن المؤلف كان خطيبا في مسجد بني يزناسن بفاس، قبل أن يكون خطيبا للقرويين، لأنه ورد في درة الحجال عند ترجمة الورياغلي قوله: وتقدم للخطابة بعده خطيب بني يزناسن من لمطة: عبد العزيز البوفرحي[31]. اهـ.

فقد جاء في كتاب في جامع القرويين[32] ذِكرُ كرسيِّ مسجد بني يزناسن، فقال: وفي عقبة السبع تحت السقاية هناك هذا المسجد الذي كان يتوفر على كرسي لتعليم سكان الحارة. اهـ.

فمن هذا يمكننا أن نستخلص أن البوفرحي تولى الخطابة مرتين: قبل سنة 880 هـ كان فيها خطيبا بفاس في مسجد بني يزناسن في عقبة السبع تحت السقاية، ثم لما توفي الخطيب عبد العزيز الورياغلي دعي إلى الخطابة والإمامة بمسجد القرويين سنة 880 هـ، وبقي خطيبا به إلى أن مات رحمه الله تعالى.

[30] - جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، ج 2 ص 452.

[31] - درة الحجال، لأحمد ابن القاضي، ج 3 ص 128.

[32] - جامع القرويين: المسجد والجامعة لمدينة فاس، للدكتور عبد الهادي التازي، دار نشر المعرفة بالرباط، ط 2، 2000م، ج 2 ص 400.

6. زهده وورعه:

يبدو أن كثيرا ممن ترجم للبوفرحي وصفه بأوصاف تدل على أن الرجل كان من العباد والزهاد، كقولهم: "الصالح البركة الزاهد الورع الصوفي"، وغيرها من العبارات التي لا تصدر جزافا دون دليل من حياة الرجل تؤكد ما وُصف به، ومن طالع مؤلفات الرجل وقف على اليقين في ذلك، ككتابه تهنئة الأمير، والأمر المهم الأكيد، وتفسير قوله تعالى: سمح يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ سجى [الرعد: 40] ، حيث إن مدار كلام الرجل ورسالته هي الحث على العمل، وتجنب الإثم والزلل، وترك فضول المباح، والاحتراز عن الشبهات، والعكوف على مطالعة كتب المتصوفة، والنهل من سيرهم، بل وتساق في سيرة الرجل مواقف تترجم زهده وورعه، مثل ما حكاه ابن عيشون: أن إنسانا وجده يغسل شيئا من ثوبه فسأله ماذا يغسل؟ فقال له: دم البراغيث، فقال له: إنه لا ينجس، فقال له: الإمام كشاة الأضحية، يتقى فيها العيب كله[33].

ويكفي في الدلالة على زهده أن شيخ المتصوفة في زمانه أحمد زروق، كان يترك الصلاة خلف عبد العزيز الورياغلي، ويقول فيه : الغندور - أي الشجاع - لا آمنه على صلاتي[34]. ولعل السبب في ذلك قيامه على دولة بني مرين، وتسببه في إسقاطها، بينما كان يثني على المترجم له، ويغبط الصلاة خلفه[35].

[33] - الروض العطر الأنفاس، لابن عيشون، ص 277.

[34] - انظر درة الحجال، لأحمد بن القاضي ج 3 ص 127-128.

[35] - انظر الروض العطر الأنفاس، لابن عيشون، ص 277.

فيظهر من سيرة الرجل، وثناء العلماء عليه، ومطالعة بعض مؤلفاته: أن الرجل كان منقبضا عن الدنيا، لم يداخل أهلها، ولم يخالط ذوي الجاه والسلطان، ولم يخض في فضول القول والفعل، منشغلا بنفسه، مشتغلا بالعلم والإمامة والخطابة، يحمل رسالة العلم، وتبليغه إلى الخلق، وهدايتهم إلى العمل الصالح.

ويكثر المؤلف في رسائله النقل عن أعلام الطريقة الشاذلية كأبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ)[36]، وأبي العباس المرسي (ت 686 هـ)[37]، وابن عطاء الله السكندري (ت 709 هـ)، وخطيب القرويين محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي النفزي (ت 792 هـ)[38]، مما قد يفهم منه أنه شاذلي الطريقة.

[36] - انظر ترجمته في نكث الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764 هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1428 هـ/2007م، ص 197، وطبقات الشاذلية الكبرى المسمى: جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، لأبي علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي (ت 1347 هـ)، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 2، 1426 هـ/2005م، ص 19-59.

[37] - انظر ترجمته في الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك للصفدي (ت 764 هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420 هـ/2000م، ج 7 ص 173.

[38] - انظر درة الحجال، لأحمد ابن القاضي ج 2 ص 277.

7. ثناء العلماء عليه:

قال عنه المنجور: الشيخ الفقيه الصالح الصوفي الخطيب[39].

وقال ابن عيشون: كان فقيها صالحا ورعا خيرا فاضلا ... بقي فيه خطيبا إلى أن مات وحمدت سيرته، وكان الثناء عليه جميلا، وكان الشيخ زروق معاصرا له فكان يقول: إن الصلاة تغبط خلفه[40].

وقال عنه أحمد بن القاضي: الفقيه، الصالح، الورع، الخطيب بالقرويين[41].

وقال عنه صاحب سلوة الأنفاس: الشيخ الإمام الفقيه الزاهد الورع النبيه الصوفي الأنور الأريب الصالح البركة الخطيب[42].

وقال عنه عبد الكبير الكتاني: الشيخ الإمام الفقيه الزاهد الورع الصوفي الصالح البركة[43].

8. آثاره ومؤلفاته:

مما ذكره العلامة محمد المختار السوسي من مؤلفات البوفرحي[44] التي اطلع عليها بخزانة آزاريف:

---

[39] - فهرس أحمد المنجور، ص 59.

[40] - الروض العطر الأنفاس لابن عيشون ص 275-276.

[41] - انظر درة الحجال، لابن القاضي ج 3 ص 128.

[42] - سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، ج 3 ص 160.

[43] - زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ)، تحقيق: د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط 1، 1422 هـ/2002م، ج 1 ص 200.

[44] - خلال جزولة، لمحمد المختار السوسي (ت 1383 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، 2015م، ج 2 ص 90.

أ- "تلويحات في طريق القوم"[45]، أو "تلميحات في طريق القوم"، أو "تعريف المريدين لطريق التوفيق والخذلان وتعاطي كل ما فيه استعاذة والبعد عن الشنآن"[46]: هو جواب عن سؤال ورد عليه ممن يسترشده أن يذكر له تلويحات من طريق الصوفية.

ب- الأمر المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد[47].

ت- رسالة حول تهنئة الأمراء بالقدوم في مشروعية ذلك[48]: هو جواب عمن دعاه إلى الوقوف لتهنئة الأمير على قدومه من سفر، وسؤاله عن حكم ذلك عند الفقهاء لا عند المتصوفة، فأجابه عن كل ذلك ببيان أحواله وشروط جوازه، ومحاذيره، وغير ذلك.

ث- رسالة في قول الله تعالى: (يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ) [الرعد: 40]: وضعها في بيان معنى الآية الكريمة، وما جاء من أن بعض أعمال البر تزيد في الأعمار، والحث على فضائل الأعمال، وصنائع المعروف، وأفعال البر، والتحذير من مساوئ الأخلاق، ومرديات الأعمال، ورفع التعارض الظاهر بين الفراغ من كتابة الآجال والزيادة الواردة في النصوص الشرعية.

---

[45] - جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ج 2 ص 505، ولعل سبب تسميته بهذا أنه ورد في نسخة خطية منه في سؤال السائل له: "... فإن تيسر عليك يا سيدي أن تشير لنا إلى تلويحات من طريق القوم نستدل بها على ذلك ...".

[46] - هكذا ورد اسمه كاملا في لوحة عنوان النسخة الخطية.

[47] - جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ج 2 ص 505.

[48] - منه نسخة عند أخينا الأستاذ مصطفى أزرياح.

ج- جواب فقهي[49]: مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط عدد: 13457، ولعله هو نفس كتاب التلويحات المتقدمة.

9. وفاته ومدفنه:

توفي رحمه الله عند زوال يوم السبت ثاني عشر ربيع الأخير من سنة تسعمائة[50]. وذكر ابن عيشون قولا آخر أنه سنة تسع وتسعين وثمانمائة[51]، وذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس[52] ودرة الحجال[53]، وحكى هذا الخلاف الكتاني في سلوة الأنفاس، والراجح أنه سنة تسع وتسعين على ما عند المنجور في فهرسته[54].

ودفن خارج باب الجيسة بقرب سيدي محمد بن الحسن[55]، وعن يسار الداخل لروضته مدفونة السيدة فاطمة القصرية[56].

---

[49] - الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، تأليف: الدكتور محمد العلمي، ص 322.

[50] - ذكر وقت وفاته ويومه وشهره ومكان دفنه بالتفصيل: ابن عيشون في الروض العطر الأنفاس، ص 276، وعبد الكبير الكتاني في زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ج 1 ص 200.

[51] - في الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي ص 322: كان حيا سنة 859. ولعله اعتمد في ذلك على ما وجد من تاريخ نسخ الجواب الفقهي الذي للبوفرحي، وقد توفي على وجه التدقيق بعده بأربعة عقود.

[52] - جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1973م، ج 2 ص 452.

[53] - درة الحجال، لابن القاضي، ج 3 ص 128.

[54] - فهرس أحمد المنجور، ص 59.

[55] - الروض العطر الأنفاس، لابن عيشون، ص 276.

[56] - سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، ج 3 ص 161.

ومحمد بن الحسن الذي يذكر أنه دفن بجانبه البوفرحي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن اليصلتي، من أهل سجلماسة، استقر بفاس، وبه مات عام خمس وتسعين وخمسمائة[57].

رابعا: قراءة في كتاب: "الأمر المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد":

1- وصف النسخة الخطية:

هو رسالة مختصرة في الوعظ والنصح، من خزانة آزاريف، أمدني بها مشكورا فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى أزرياح، تقع في سبع عشرة لوحة من الحجم الصغير، بخط مغربي مقروء في الغالب.

أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الصوفي المحقق سيدنا و بركتنا أبو محمد عبد العزيز ابن محمد البوفرحي نفعنا الله به، الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام ...".

وآخرها: " وكل ما ذكرنا من مسامحة الزوج لها إنما ذلك فيما لا يكون فيه التعدي لحد من حدود الله ....".

[57] - انظر ترجمته عند ابن عيشون قبل ترجمة البوفرحي ص 275، وله ترجمة في التشوف ص 345، وسلوة الأنفاس 126/3.

2- مصادره في الرسالة:

يصرح المؤلف ببعض الكتب التي ينقل عنها، وأحيانا لا يصرح بل يذكر الحديث أو القائل وقوله أو البيت الشعري دون أن يذكره مصدره، وغالب مادة الرسالة من كتب الصوفية وتراجمهم، وهذه بعض الكتب التي يغلب على الظن أنه اعتمد عليها في رسالته:

* قوت القلوب في معاملة المحبوب، لأبي طالب المكي (ت 386 هـ).
* حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430 هـ).
* الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري (ت 465 هـ)
* إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ).
* صفة الصفوة لابن الجوزي (ت 597 هـ).
* حزب البر أو الحزب الكبير، لأبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ).
* الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري (ت 709 هـ).
* التنوير في إسقاط التدبير، لابن عطاء الله السكندري.
* تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، له أيضا.
* شرح الحكم العطائية، لابن عباد الرندي (ت 792 هـ).
* الرسائل الكبرى المسماة: نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل، له أيضا.

3- سبب تأليف الرسالة:

سبب تأليف هذه الرسالة أنه ورد عليه سؤال أو شكوى ممن يتعرضون للأذى من جيرانهم أو غيرهم من المسلمين، يقول المؤلف في صدر رسالته: " وبعد، فإنه ورد عليّ سؤال من بعض الإخوان المؤمنين الذين يخافون على دينهم إذ حلّ بهم ما يكرهونه من قِبَل من يبغضه من جيرانه أو غيرهم من المسلمين؛ لأن ذلك مذكور في الجملة إن لم يمنع منه دين وازع متين، وقال هذا السائل في سؤاله: إن من السؤال لا يختص به وحده بل ذلك موجود عند كثير من الناس، يشتكون بتلك المضرة يكثرون بالطاعنين فيهم الشكيّة".

ولعل السائل أو المشتكي يقصد ما تعرض له المغاربة في آخر عهد دولة بني مرين من فتن وقطع طريق، وقتل للأنفس، وسفك للدماء في الفتن التي جرت في فاس وغيرها من المدن المغربية بسبب شهوة الحكم، وضعف المسلمين حتى طمع النصارى في ديارهم، واجتاح الغزاة من البرتغال وغيرهم شواطئهم، وإن كان سياق النص يدل على الشكوى من الطعن في الأعراض، والسعاية عند ذوي السلطان، مما يؤدي إلى المضرة بمن سُعي به، وكانت هذه الأحوال قد كثرت أيضا عندما ضعف سلاطين بني مرين، وصار الوزراء والحجاب يتصرفون في أمور الدولة، ويأخذون الناس بالظنة، وكلما مات سلطان، شملت نقمة السلطان الذي بعده رعية الأول وحاشيته، وأخذهم بالعسف والظلم، وصادر أموالهم، وحبسهم، وتسلط عليهم بالضرب والقتل وغير ذلك.

4- مضمون الرسالة:

بعد ذكر نص السؤال يشرع المؤلف في الجواب مبينا عظم مصيبة التي هي التسلط على الأعراض، وما في سلامة العرض من نعمة ومزية ينبغي أن تحمد، ويسوق من النصوص ما يهون أمر هذه المصيبة، ويبرز فضيلة الصبر: "يا أخي إنك معذور في هذا السؤال لأنك اشتكيت بالطاعنين فيك، والطعن يشوش العقل والبال".

ثم يذكر يستشهد النصوص من القرآن وأقوال السلف في هذا المعنى، ويوجهها مبينا المستفاد منها: "يفهم منه أن ما يصدر من الأذى على ألسنتهم يشوش العقل، فلذلك سأل حقيقة الإيمان حتى لا يخاف إلا الله الذي بيده النفع والضر له ولهم، قلت: بمثل هذه المشوشات التي ذكرنا ينبغي الكلام عليها ونقل ما حفظناه فيها مما عساه يهونها على القلوب ويكسر سَوْرتها".

ثم يذكّر بما قيل في حق الله جل جلاله من الولد والصاحبة والشريك، وما تعرض له صفوة الله من خلقه من الأنبياء والمرسلين من أنواع الأذى والطعن، ثم ما نال النبيَّ صلى الله عليه وسلم من ذلك، وصحابته الكرام، وكيف كان ثباتهم، وتجلدهم وصبرهم لذلك، مع التنبيه إلى فضيلة الحلم قائلا: "فالحلم بمثابة الملح لا تصلح المخالطة مع الناس إلا بالحلم، كما أن الملح لا يصلح الطعام إلا به، فالملح والحلم حروفهما مقلوبة: حلم ملح، فمن لم يكن فيه حلم لم يقدر على معاشرة الناس ولا على المعاملة معهم".

وينتقل بعد ذلك إلى بيان حال هذه الدار، وما يعتريها من أكدار، ويورد في ذلك النقول الكثيرة من القرآن الكريم، ثم يقول: فمن رأى الثواب في كل ما يصيبه لم يتأسف

على ما ينزل به لأنه حسن ظنه بربه حين أنزل به ما يرجو به تكفير ذنوبه سامعا قوله تعالى: (وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) [البقرة: 214]، وما قدمناه قبل هذا عن مالك بن أنس رضي الله عنه والحسن رضي الله عنه من حلية الأولياء يفهم منه أنهم سلكوا هذا المسلك لأنهم سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام: "اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير"، فعلموا أن الرضى بالقضاء أرفع من الصبر لأن الراضي يفرح بما يرى من غيب الله فيتلقاه بالبشاشة والفرح، ولهذا قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أصبح لي هوى إلا في مواقع القدر.

وبعد هذا يذكر مزية سير المتقدمين من السلف الصالحين، وأنه تساق للتفكر والاعتبار، ولسلوك سبيلهم، ومتابعة طريقهم، فيقول: "فمسلك هؤلاء المذكورين ألا وهو رفع المقامات نسأل الله أن يرزقنا مما رزقهم حتى لا نعدل يمينا وشمالا عن طريقهم الذي أوضح لهم، وهذا هو الباعث لأبي نعيم على تصنيفه حلية الأولياء؛ لأنه سماها "حلية الأولياء وذكر طبقات الأصفياء"، فإنه قال فيها: أن ذكرت لأحوالهم وسيرتهم يراه كل من يطالعه فيتبعهم في أقوالهم وأفعالهم ويبقى ذلك يقرؤه الناس ويسمعونه ويتفاوتون في العمل بسيرتهم على قدر هممهم وإن لم يعمل الإنسان بكل ما سمع فلا بد أن يعمل ببعض ما يسمع في الحديث الذي جاء: "عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ"، لا شك أن كلامهم إذا سمع وجدت له حلاوة، ووجدت حينئذ في قلبك رقة، وتبعثك تلك الرقة علو العزم على العمل بما سمعته،

فيحصل لك الثواب العظيم على عزمك على الخير، و"نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ" كما ورد في الخبر، قالوا في تفسيره: إن النية هي من أعمال القلوب، فهي أقرب إلى السلامة من الرياء، لأن النية للخير لا يطّلع عليها إلا الله، وأما العمل بالجوارح فربما دخله الرياء".

وينقل المؤلف عمن أدركهم من أهل العلم والسلوك أهمية دراسة كتب الصوفية والاهتمام بها والعكوف عليها، وتدريسها، فيقول في الحض عليها، وبيان مزيتها، وقيمتها في تزكية القلوب وتحليتها: "وكان سيدي أحمد بن علي رضي الله عنه لا تفارقه حلية الأولياء، لا تشاء أن ترى على محمله سِفرا منها أو مِن إحياء علوم الدين أو قوت القلوب لأبي طالب المكي إلا رأيته ولذلك قال سيدي علي الوزروالي يوما: يا سيدي عبد العزيز، إن أولئك القوم ربحوا ومن خالطهم ربح فلا تفارقهم؛ يعني بالذين ربحوا أهل الحلية وما كان في معناها مثل الإحياء للغزالي وكتب ابن عطاء الله مثل التنوير الذي قال فيه سيدي محمد بن عبّاد رحمه الله: من لا يصحح إيمانه من هذا الكتاب لم يصححه من كتاب غيره ، وكذلك الحكم ولطائف المنن وتاج العروس وقوت القلوب الموصول إلى كل مرغوب ومحبوب وهو آكدها، قالوا: مطالعته تورث النور، فالملازم لهؤلاء القوم وسماع كلامهم يزرع ذلك في القلب حب معالي الأخلاق".

ويستطرد في بيان فضل حسن الخلق، وما ورد فيه من أحاديث وأخبار تحث على لزومه، والتمسك به، ويأتي بنصوص شرعية وأخبار وقصص تدل على فضل الحلم والعفو،

والنهي عن الغضب وموجباته كالمراء، وقد يعرض أحيانا شبهات يجيب عنها، كمثل أن العفو ضعف أو أن فيه تضييعا للحقوق.

وينقل نقلا مطولا عن ابن عطاء الله في تاج العروس حول معاملة الخلق بالإحسان، واعتبار إساءتهم من تسخير الله لهم وقضاء الله المسلط عليه، وأنه ينبغي أن يرى أن ذلك بسبب ذنبه.

ومن توجيهاته: أنه ينبغي على المكلف أن يستعمل عقله في الاجتهاد في التأويل والتفسير للقرآن، وفي معاني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي تدبير الرأي الحسن لمن استشاره، ومن العقل أن يعاشر الناس بالخير ولا يسوق لنفسه عداوة أحد من الناس، لأن أكثر الناس صاروا إذا خالفتهم سعوا بك إلى السلطان، ومن نصائحه أيضا الحرص على اتخاذ الإخوان الصالحين أصحابا يستعين بهم على الخير، وينتفع بصحبتهم، ثم عقد في الأخير فصلا للكلام على حسن المعاشرة بين الزوجين بالخلق الحسن والتغاضي والمداراة والعفو والمسامحة والرفق والصبر على الأذى، وقد وجّه كثيرا من النصائح للمرأة لتحسن عشرة زوجها كالرفق بمماليكه وحسن تدبير ماله.

وفي الجملة فهذه الرسالة هي جواب ونصيحة، ودعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والنهي عن مساوئها، بأسلوب وعظي، ولغة واضحة سهلة ميسورة على الفهم، لا ألغاز فيها ولا اصطلاحات يصعب فهمها، تتخللها كثير من نصوص القرآن والحديث الشريف، وأقوال السلف، وقصصهم، وأخبارهم، وحكايات الصوفية، ونقول عن كتبهم، خصوصا

إحياء علوم الدين، وكتب أبي الحسن الشاذلي، وابن عطاء الله السكندري، وابن عباد النفزي، وغيرهم.

ولا يكتفي المؤلف بإيراد النصوص، بل يعلق عليها، ويوجهها، ويرفع التعارض بينها أحيانا، بطريقة مختصرة بديعة، مع توجيه النصح، واستخلاص العبر، وبيان الفوائد، والحرص على توجيه السائل إلى الخلق الحسن، وترك مساوئ الأخلاق.

لائحة المصادر والمراجع

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315 هـ)، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء، 1954م.
- أصول المغاربة لمولاي التقي العلوي، مراجعة وإخراج: علال ركوك وحفيظة الهاني، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2019م.
- بني بوفراح (دراسات في الايكولوجيا الاجتماعية لسهل ريفي)، تأليف: بول باسكون (ت 1985 م)، بالاشتراك مع هرمان فان ديرفوستن، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، طباعة المعارف الجديدة – الرباط، 2017م.
- تاريخ المغرب، لجون بريتيون وآخرين، تعريب: د. محمد الغرايب – عبد العزيز بل الفايدة – محمد العرجوني، مطابع الرباط نت، ط 1، 2018م.
- تاريخ تطوان، لمحمد داود، مراجعة وإضافات: حسناء محمد داود، منشورات جمعية تطوان أسمير، مطبعة الخليج العربي – تطوان، 1430 هـ/2009م.
- جامع القرويين: المسجد والجامعة لمدينة فاس، للدكتور عبد الهادي التازي، دار نشر المعرفة بالرباط، ط 2، 2000م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1973م.

- خلال جزولة، لمحمد المختار السوسي (ت 1383 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، 2015م.
- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي (ت 1025 هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث – القاهرة، ط 1، 1391 هـ/1971م.
- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (ت 1109 هـ)، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، 1997م.
- زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ)، تحقيق: د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني (ت 1345 هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتانيين، دار الثقافة – الدار البيضاء، 2004م.
- طبقات الشاذلية الكبرى المسمى: جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية، لأبي علي الحسن بن محمد بن قاسم الكوهن الفاسي (ت 1347 هـ)، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 2، 1426 هـ/2005م.
- فهرس أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور (ت 995 هـ)، تحقيق: ذ. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط، 1396 هـ/1976م.

- فهرس أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور (ت 995 هـ)، تحقيق: ذ. محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط، 1396 هـ/1976م.
- كرونولوجيا تاريخ المغرب: من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط 1، 2012م.
- المغرب المجهول: الجزء الأول: اكتشاف الريف، لأوجست موليراس (ت 1931 م)، ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تفراز، دار النجاح الجديدة، 2007 م.
- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، لعبد الحق بن إسماعيل البادسي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المطبعة الملكية – الرباط، 1402 هـ/1982م.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنون، دار الثقافة، ط 2، 1380 هـ/1960م.
- نكث الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764 هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط 1، 1428 هـ/2007م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس، 1989م.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك للصفدي (ت 764 هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420 هـ/2000م.

اللجنة العلمية الاستشارية

- د. أحمد شوقي بنبين؛ الخزانة الملكية – المغرب.
- د. عزير أبو شرع؛ جامعة ابن طفيل – المغرب.
- د. محمد لشقر؛ جامعة مولاي إسماعيل – المغرب.
- د. عبد الله الرشدي؛ مؤسسة دار الحديث الحسنية – المغرب.
- د. مراد تدغوت؛ جامعة جوته – ألمانيا
- د. المختار شاكر؛ جامعة القرويين – المغرب.
- د. مصطفى السعيدي؛ جامعة عبد المالك السعدي – المغرب.
- د. محمد مستقيم؛ جامعة محمد الأول – المغرب.
- دة. للا عائشة عدنان؛ جامعة القرويين – المغرب.
- دة. خير النساء كيكليك، جامعة بورصا اولوداغ – تركيا.
- Dr. Jules Janssens; KU Leuven - Belguim.
- Dr. Delfina Serranos; ILC, CSIC - Spain.

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط

Rawafed center for Studies and Researches in Maghreb Civilization and Mediterranean Heritage

مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط.

مؤسسة بحثية متخصصة في الفكر المغربي-الأندلسي والدراسات التراثية.

Rawafed Center for Studies and Research in the Maghreb Civilization and the Mediterranean Heritage.

A Research Institution Specialized in Maghreb-Andalusian thought and Heritage Studies.

Email: centrerawafed @ gmail.com

centrerawafed